الشيخ محمد بن نفجان التويجري الحربي

ابن الفوّارة ومسيرة ٧٥ سنة في العلم والدعوة

د.هاني بن سالم الحارثي

ودعت بلادنا المملكة العربية السعودية أمس الخميس ١٥ من ذي القَعدة ١٤٤٥هـ أحد العلماء الأفاضل الذين كان لهم دور في التعليم والدعوة وهذه نبذة يسيرة في سيرته رحمه الله سمعتها منه ومن ابنه الدكتور موسى وفقه الله.

الشيخ محمد بن نفجان بن ناقي بن ساجي بن خلف بن سلمان بن بادي التويجري.

وبادي هو جد التواجرة، وهم من الهواملة من مزينة من بني سالم من قبيلة حرب.

أما والده الشيخ نفجان فقد كان من رجالات جيش الملك عبد العزيز في تأسيس المملكة مع الإخوان وشارك في حصار حائل ثم جدة والمدينة النبوية.

ولما وقعت فتنة الإخوان وما سبقها من عصيان حمى الله الشيخ نفجان -وأهالي الفوّارة (إحدى المحافظات في منطقة القصيم الآن) ومن حولهم عن الدخول في شيء من تلك الفتن بفضل الله ثم بسبب الرجوع للعلماء-، وذلك لوجود الشيخ العالم القاضي عبد الله بن بليهد رحمه الله في الفوّارة وقربه منه وتتلمذه عليه، والذي نهاه عن الدخول معهم في انحرافاتهم وخروجهم عن توجيهات الإمام والسمع والطاعة له.

وقرأ القرآن في على الشيخ الحميدي الرديعان، واشتغل بطلب العلم على الشيخ العلامة عبدالله بن بليهد، وعلى القضاة الذين كانوا يكلفون بالقضاء في الفوّارة: الشيخ سليمان المشعلي، وصالح بن إبراهيم المحيميد، وأكثر ما قرأ عليهم تفسير ابن كثير، وفتح المجيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله

ومن خبره أنه اتفق هو واثنان من أصحابه في أحد أيام رمضان أن يختموا القرآن في يوم، فجلس كل واحد منهم تحت سارية من بعد صلاة الفجر، فختم أحدهم بعد العصر، والثاني قبيل المغرب، وأما هو فختمه بعد صلاة المغرب لثقل في لسانه.

كما جاء للرياض وحضر للشيخ محمد بن إبراهيم وحضر له وقرأ عليه.

وكان الشيخ نفجان تربطه علاقة وطيدة بالشيخ ابن باز، فقبيل وفاة الشيخ ابن باز جاء للسلام عليه، وحضر محاضرة له في جامع المليحي -شرق الرياض بحي الخليج-، وبعد المحاضرة حضر معهم مكان العشاء وسلم عليه، وقال: ياشيخ جئت للسلام عليك ولعل هذا آخر العهد بيننا فأوصني!!

فقال: الوصية تقوى الله وما أوصى الله به، وادع لي وأدعو لك.

وقد ولد للشيخ نفجان أبناء وهم: موسى وصالح ومحمد -محل حديثنا-وعبدالله.

أما الشيخ محمد بن نفجان فقد ولد سنة ١٣٥٥هـ في الفوّارة، ونشأ بها في رعاية والديه، في بيت صلاح وعلم، وحفظ القرآن من سورة الناس إلى سورة المؤمنون.

وفي سنة ١٣٧١هـ أخذه والده إلى الرياض لطلب العلم على كبار العلماء فيها، وأول ما رتب له أن يحفظ القرآن عند الشيخ محمد بن سنان رحمه الله.

وقد امتحنه الشيخ ابن سنان فوجد حفظه جيداً، فاستعان به في تحفيظ مكفوفي البصر -وكان قد اختير ليكون مع الشيخ عبد العزيز آل الشيخ سماحة المفتي ومن هنا بدأت علاقته به وصحبة امتدت قرابة ٧٥ سنة، وسماحة المفتي يقدر الشيخ محمد كثيراً ويأنس به ويفرح بزيارته له.

وكان حِفظ الشيخ محمد بن نفجان للقرآن متقناً، وكان حَسن الصَّوت في القرآن، وقد صلى بجماعته في رمضان في الفوّراة سنة ١٣٨٦ وختم بهم ٣ ختمات وفي الرابعة وصل إلى سورة الأعراف وقال بعضهم: ضيعت علينا رمضان!! تعودنا نختم ٥ أو ٦ ختمات.

درس الشيخ محمد بن نفجان في مدرسة ابن سنان، ثم في المعهد العلمي: معهد الرياض ثم معهد إمام الدعوة، ثم في كلية الشريعة وتخرج منها سنة ١٣٨٧هـ.

وبعد أن أتم حفظ القرآن حفظ جملة من المتون: القواعد الأربع، وثلاثة الأصول، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما حفظ الأربعين النووية، وبلوغ المرام لابن حجر، والرحبية في الفرائض، والأجرومية في النحو.

وحضر لعددٍ من أهل العلم؛

منهم: الشيخ محمد بن إبراهيم في القواعد الأربع وثلاثة الأصول وكتاب التوحيد و٢٠حديثاً من الأربعين النووية، وحضر له في الروض المربع وبلوغ المرام وصحيحي البخاري ومسلم، واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، وتفسير ابن كثير وابن جرير الطبري، والتوحيد وفتح المجيد، وعمدة الأحكام، وزاد المعاد لابن القيم.

ولثقة الشيخ محمد بن إبراهيم به كلفه بالمأذونية وتقدير الشجاج كي يستعين بها القضاة في قضائهم.

وحضر للشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم الأجرومية في النحو والرحبية في الفرائض، وكانت تربطه بالشيخ عبد اللطيف علاقة وطيدة، حتى إنه لثقته به كلفه بتوثيق المبايعات والطلاق وغيرها من التوثيقات، وكانت توثيقاته معتمدة لدى الجهات الرَّسمية يقيدها بالسِّجل لديه، ثم يعطي ورقة بمضمون ما تم توثيقه ويذهب صاحب التوثيق للشيخ عبداللطيف لختم وثيقته، ولازالت تلك السجلات الخاصة به محفوظة في مكتبته.

ومنهم: الشيخ عبد العزيز بن باز: حضر عليه كتباً كثيرة منها إغاثة اللهفان لابن القيم، وكتابه في الفرائض، والنونية لابن القيم بقراءة ابن فريان ليلة الخميس في بيت الشيخ ابن باز، واستمرت العلاقة مع ابن باز من قبل الدراسة النظامية بسبب علاقة والده به وكذلك بعدها، وهو الذي أشار عليه بالانتقال من التعليم ليكون عضواً للدعوة في الإفتاء عندما كانت الدعوة تابعة للافتاء سنة ١٣٩٦هـ.

ومنهم: الشيخ عبد الله بن حميد حضر له مجالس كثيرة لكن لم يقرأ عليه، وله معه أخبار ملاح، وفوائد لطيفة.

ومنهم: الشيخ عبد الرحمن بن قاسم حضر عليه في الواسطية والتدمرية في المعهد.

ومنهم: الشيخ عبد العزيز أبو حبيب الشثري قرأ عليه كشف الشبهات.

ومنهم: الشيخ عبد الله النَّصبان العالم الزاهد الورع إمام مسجد الثميري والذي عُرف بالشيخ النصيبي قرأ عليه التوحيد، وسمع عليه في البخاري بقراءة عبد العزيز ابن الشيخ عبدالله النصيان.

* تولى الشيخ محمد بن نفجان الإمامة في عِدة مساجد؛ كان أولها مسجد الحروب بمنفوحة سنة ١٣٧٩هـ، ثم انتقل منه إلى جامع حِلة الدواسر سنة ١٣٨١هـ ، وبقي إماماً له ست سنوات حتى تخرج من كلية الشريعة سنة ١٣٨٧هـ، ثم عُيّن خارج الرياض، ولما رجع إلى الرياض تولى سنة ١٣٩١هـ إمامة جامع غبيراء إلى سنة ١٤٠٤هـ بقي فيه قرابة ١٣ سنة، ثم جامع الخرجي فروض الأوقات من ١٤٠٥هـ مع الخطابة في جامع التعاون، وفي ١٤٠٦ تولى الإمامة في مسجد للفروض بالنسيم احتساباً، ثم خطيباً وإماماً لجامع الإمام أحمد بالسلي من ١٤٠٧ إلى سنة ١٤١٧هـ أصبح خطيباً فقط إلى ١٤٤٣هـ وفي آخر سنتين لما توالت عليه الأمراض كان ينوب عنه ابنه الدكتور موسى في الخطابة

عُيّن الشيخ محمد بن نفجان بعد تخرجه من كلية الشريعة ١٣٨٧هـ معلماً في منطقة عسير بمدينة أبها، ثم انتقل للقصيم، ثم الرياض وبقي في التعليم إلى أن انتقل للرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد قبل أن تُفصل الدعوة عن الإفتاء وتضم لوزارة الشؤون الإسلامية التي أنشئت سنة ١٤١٤هـ.

ولازال الشيخ محمد بن نفجان يمارس الوعظ والإرشاد والدعوة بإلقاء الكلمات والدروس والجولات العلمية والدعوية حتى ابتلي ببعض الأمراض التي أتعبته وبترت لذلك ساقه وكانت صابراً محتسباً راضياً بقضاء الله وقدره مطمئنة نفسه، يصبر أبناءه وكأنهم هم من ابتلي، وهو في يقين وتسليم نحسبه والله حسيبه، ومع ذلك لم يكن يتخلف عن الصلاة في جماعة وممارسة الدعوة وإلقاء الكلمات وزيارة الأقارب وإخوانه من العلماء إلى قُبيل وفاته.

وللشيخ أخبار في العبادة وحرصه على وقته وقراءة ورده، حتى وهو طريح الفراش في المستشفى إذا فاق من غيبوبته سأل عن ورده وأين وصل فيه ويكمله من حيث وقف، وحرصه على الإكثار من قراءة القرآن وذكر الله شيء عجب رحمه الله.

وللشيخ في السعي للمحتاج وسد حاجته والشفاعة له باب أعجز عن تسطيره هنا ولكن هذه واحدة منها فقد كان منوماً في المستشفى وفي حالة صعبة اتصل به محتاج من قرابته فلم يهنأ وكاد أن يخرج لذلك، لولا تكفل أبناءه بإنجازها، ولم يترك سؤالهم عنه حتى تم الأمر وقضي.

وقد خلَّف الشيخ محمد أبناء نجباء صلحاء نحسبهم والله حسيبهم، وليس هذا بمستغرب على ذرية بعضها من بعض.

غفر الله للشيخ محمد ورحمه وتجاوز عنه وأسكنه فسيح جناته ورضي عنه وأرضاه